إسهام أبي عبد الله الشريف في الحركة العلمية ببلاد المغرب من خلال مخطوط" مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحي عبد الرحمن" لمؤلفه سيدي أحمد ولد سيدي أبي يحي بن أبي عبد الله الشريف

د. نصر الدين بن داود
جامعة تلمسان
bend_nasr@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2018/09/17، تاريخ القبول 2018/09/30

الملخص:

إسهام أبي عبد الله الشريف في الحركة العلمية ببلاد الغرب الإسلامي من خلال مخطوط: " مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه عبد الله الغريق والولي الصالح سدي أبي يحيى عبد الرحمان" لمؤلفه سيدي أحمد ولد سيدي أبي يحي بن أبي عبد الله الشريف المتوفى سنة 895هـ/1490م، وهو حفيد أبي عبد الله الشريف المتوفى سنة771هـ/1369م. يبرز فيه سيرة ومناقب جدّه أبي عبد الله الشريف، من نشأته وتكوينه العلمي ومشيخته ورحلته نحو تونس وفاس، ليتبوأ المنزلة الرفيعة كما يقر بذلك علماء الغرب الإسلامي، وتنافس سلاطين بني مرين وبني زيان على استقدامه لمجالسهم العلمية. ثم يتطرق المخطوط إلى إسهامه العلمي بالتعليم والتأليف واشعاعه الفكري في حواضر بلاد الغرب الإسلامي. وهذا المخطوط يعد المصدر الأساسي الذي اعتمدت عليه كتب السير التي ترجمت لأبي عبد الله الشريف، وهي تجمع على سمو هذا العالم ورفعته في بلاد الغرب الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: أبوعبد الله؛ الشريف؛ تلمسان؛ المناقب؛ الحركة العلمية

Abstract:

The contribution of Abu Abdullah Al-Sharif in the scientific movement in the Western part of the Islamic land was shown through a manuscript: "***The virtues of Abu Abdullah Al-Sharif and his Two Sons Abdullah Al-Gharik and the Saint Sidi Abi Yahia Abdel Rahman***" by the writer Sidi Ahmed Ould Sidi Abi Yahia bin Abi Abdullah Al-Sharif who died in 895 AH / 1490 AD. He was the grandson of Abu Abdullah Al-Sharif who died in 771 AH / 1369 AD. In his manuscript, he featured the biography and showed the virtues of his grandfather, Abi Abdullah Al-Sharif, from his original growth and scientific formation; then his scholarly achievements. He also wrote about his journey to Tunisia and Fez, where he was honored by high ranking and acknowledged by the scholars of the Islamic West. Moreover, the Sultans of Bani Marin and Bani Ziyan competed for bringing him to their scientific councils. The manuscript deals also with his scientific contribution to teaching, writing and intellectual blooming in the cities of the Islamic West. This manuscript is

considered as the main source on which books of biography relied on, and afterwards, translated into other books all of which the witnessed highness and scientific superiority of Abu Abdullah al-Sharif in the western part of the Islamic land.
Key words : **Abu Abdullah Echarif– Tlemcen -Virtues –Scientific Movement**

مقدمة:

لازالت خزائن المخطوطات والمكتبات العامة والخاصة تحتفظ بالعديد من الكنوز المعرفية الهامة، والتي يشكل ظهورها وإتاحتها للباحثين وأهل الاختصاص لدراستها وتحقيقها وكشف محتواها أكبر خدمة علمية تقدم لهذه الأمة وتراث علمائها، خاصة أنها تحوي مضمون علمي يساهم في تسليط الضوء على مختلف الجوانب الحضارية للمغرب الأوسط الجزائر في العصر الوسيط وللأمة العربية الإسلامية والإنسانية جمعاء. وبهذا فهي تبرز معالم جديدة وتسد ثغرات هامة في تاريخنا، وفي هذا الإطار يقدم مخطوط "**مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحي عبد الرحمن" لمؤلفه أحمد بن يحي بن أبي عبد الله** معلومات تاريخية وحضارية متعلقة بالحياة الثقافية لتلمسان والمغرب الأوسط وبلاد المغرب الإسلامي.

ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية: ما هي الأهمية العلمية التي يقدمها المخطوط؟ وما هي الإضافة الجديدة التي يقدمها هذا السفر؟ لهذا الغرض تسعى هذه المساهمة إلى تسليط الضوء على الإسهامات العلمية للشيخ أبي عبد الله الشريف في مختلف حواضر الغرب الإسلامي، مبرزة في الوقت نفسه الأهمية التاريخية الكبيرة لهذا السفر الثمين، وذلك من خلال النقاط التالية:

1-التعريف بالمخطوط.

2-الإمام أبوعبد الله الشريف وتكوينه العلمي.

3-جهود الشيخ ابو عبد الله الشريف في التدريس.

4-الإمام أبو عبد الله الشريف في المجالس العلمية السلطانية.

5-إسهامات الشيخ أبي عبد الله الشريف في حركة التأليف.

6-الإشعاع الفكري لأبي عبد الله الشريف في حواضر المغرب الإسلامي

7-الإضافة المصدرية التي يقدمها في حقل الدراسات المتعلقة بالمغرب الإسلامي

1- التعريف بالمخطوط ومؤلفه :

العنوان: «**مجموع فيه مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحي عبد الرحمن**"[1]

أثبتت على واجهة المخطوط العبارة التالية: ترجمة الشيخ أبي عبد الله الشريف التلمساني الإدريسي (كذا) بتر من الباب السابع إلى العاشر

المؤلف: المعلومات التي حفظتها لنا بعض كتب التراجم تبدو مهلهلة ويشوبها النقص الكبير ولا تساعد في التعريف بمؤلف المخطوط بشكل جيد، ومع ذلك حاولنا قدر المستطاع استخراج ما توفر منها: هو الشيخ أحمد ولد أبي يحي[2]، بن أبي عبد الله الشريف المتوفى سنة 895هـ/1490م[3]، قال عنه التنبكتي:" أخذ عن الإمام ابن مرزوق الحفيد، وله مراجعة وبحث في المتيمم يدخل في الصلاة ثم يطلع عليه رجل بالماء "[4].

الناسخ: **أثبتت** على واجهة المخطوط العبارة التالية: "كتبه العابد الفاسي وقاله ابنه محمد غفر الله للجميع" ولم نتوصل إلى ترجمته في المصادر التي رجعنا إليها.

تاريخ النسخ: تسبب البتر الذي لحق المخطوط في آخره في ضياع المعلومات المتعلقة بتاريخ النسخ، وقد كتب على واجهة المخطوط بخط واضح عبارة " لا تاريخ له" وهذا ما يبين أن تاريخ نسخ النسخة التي اعتمدنا عليها مجهول

بداية المخطوط:

"بسم الله الرحمن الرحيم ن وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، صاحب هذا التأليف العالم الأفضل سيدي أحمد ولد سيدي أبي يحي ولد أبي عبد الله الشريف فهو حفيد أبي عبد الله، الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة

1- نسخة مصورة من مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية .

2- وعند السخاوي في الضوء اللامع "أحمد بن يحي..."وقد جانب الصواب بهذا، ينظر السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج2، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت، ص243.

3- أحمد بن يحي الونشريسي، وفيات الونشريسي، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، د. ت، ص 110.

4- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق، علي عمر، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، مصر،2004، ص 128.

أنبيائه وقدوة أوليائه وأصفيائه وسالكين طريق سنته المبينة لكتبه وآياته أ حمده سبحانه وتعالى حمدا يرتضيه لنعمائه، ويملأ ما بين أرضه وسمائه "

نهاية المخطوط:

" قال الله عز وجل" **والله أعلم بما وضعت"** أي ليس حكمها حكم الإناث الصرف، بل هي في حكم الذكر منة منه سبحانه على امرأة عمران إذ نزل ابنتها منزلة الذكر الذي هو "وفي الأسفل كتب في الهامش بخط حديث ما يلي " وهنا وقع البتر ...والبتر واقع به تمام الباب السابع حتى التاسع "

أما الورقة الأخيرة والتي تتضمن سبعة عشر بيتا شعريا وفي أخرها عبارة " ولما بلغ السلطان أعزه الله موته عظم عليه"، فنرجح أنها إحدى ورقات الأبواب المبتورة وأضيفت للمخطوط، وهي أبيات شعرية قيلت في أبي عبد الله الشريف بعد وفاته رحمه الله.

دوافع تأليف الكتاب:

صرح المؤلف في مطلع كتابه بالدوافع التي حملته على كتابته، حيث بين أن ذلك تم بإيعاز من السلطان الزياني أبو زيان محمد (801هـ-804هـ/1399م-1403م، ليعرف بهذا البيت الشريف وبمناقب علمائه وقال:" لمحت نفسه العلية إلى التعريف بمناقبهم، وتخليد شمائلهم الكريمة ومذاهبهم، ليطلع على كنه مشيخته، ويعلم أسانيد روايته وسبل طريقته، ويتعلم سيرتهم فيجعلها أسر سيرته فابتدرت لمراده[1].

منهج المؤلف:

قال المؤلف مبينا منهجه وطريقته في التأليف " وابتدأت بالتعريف بالشيخ الإمام ابي عبد الله أولا، ثم بولديه شيخنا أبي محمد عبد الله وشيخنا أبي يحي عبد الرحمن ثانيا، ورتبت الكتاب في عشرة أبواب تضمنت جملة صالحة من المناقب والآداب، ومن فضل الله أستمد وعليه أعتمد بمنه سبحانه يؤمل التوفيق والسعد ...وله الأمر من قبل ومن بعد "[2].

فجاء هذا التأليف منسجما مع عنوانه ومنتظما في مضمونه.

1- ورقة05.

2- ورقة 05،06.

أبواب المخطوط:

الباب الأول: في نسبه ونشأته ومولده

الباب الثاني: في طلبه للعلم واجتهاده وشيوخه ورحلته وثناء العلماء عليه

الباب الثالث: في خلقه وخلقه وهيئته وسيرته

الباب الرابع: في علومه وتواليفه وفوائد من أجوبته

الباب الخامس: في مهابته وحفظه منصب العلم وعلو مرتبته

الباب السادس: في زهده وتدينه ومروءته وأمانته

الباب السابع: في تمسكه بكتاب الله وسنته

وصف المخطوط:

- نوع الخط: مغربي واضح
- - القياس :20x15سم
- - السطور: 18 سطر في كل ورقة
- ما بين 10إلى 15 كلمة في كل سطر
- - الصفحات :50×2=100 صفحة بالإضافة إلى إحدى أوراق الأبواب المبتورة

ملاحظة:

أضيف للمخطوط ورقة كتب عليها (وجها وظهرا)، تتبع فيها مؤلفها نسب آل البيت عليهم السلام وأماكن انتشارهم في العالم الإسلامي والمرجح عندنا أن هذه الورقة لا تنتمي لمخطوط المناقب وإنما أضيفت له لاحقا لعدة اعتبارات من بينها:

*كون الخط الذي كتبت به يختلف تماما عن الخط المستعمل في المخطوط

*نوعية الخط غير واضحة

* اختلاف عدد الأسطر عن باقي المخطوط 27 وجها و18 ظهرا

* الملاحظ كذلك أن العناوين التي أضيفت على هوامش المخطوط تشبه كثيرا الخط المستعمل في الورقة المشار إليها، ونعتقد بذلك أنها بخط شخص واحد.

2-الإمام أبو عبد الله الشريف وتكوينه العلمي:

هو محمد بن أحمد بن علي بن يحي بن محمد بن القاسم بن حمود[1] بن ميمون بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه[2]، من مواليد سنة 710هـ/1310م[3]، ويعرف بالعلوي نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان تعرف بالعلوين[4]، وهي قرية عين الحوت حاليا[5]، قال ابن خلدون: «وكان أهل بيته لا يدافعون في نسبهم وربما يغمز فيه بعض الفجرة، ممن لايزعه دينه، ولا معرفته بالأنساب فيعد من اللغو، ولا يلتفت إليه"[6]

* **شيوخه:**

لقد أتاحت مدينة تلمسان للشيخ الشريف مشيخة علمية متميزة، تمكن من خلالها من التحصيل العلمي الجيد، فتتلمذ الشيخ أبو عبد الله على نخبة من أبرز علماء تلمسان، وفي مختلف العلوم النقلية والعقلية واحتفظ لنا المخطوط بذكر لأبرز هؤلاء العلماء:

1- عند التنبكتي: محمود، ينظر، التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص 87.

2- ورقة 06.

3- ذكر هذا التاريخ كل من التنبكتي وابن مريم وقالا أنهما نقلاه من مصنف "لبعض التلمسانيين عرف صاحبه بالشريف وولديه "والظاهر أنه كتاب "مناقب أبي عبد الله وولديه عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحي عبد الرحمن" ولكن النسخة التي اعتمدنا عليها فيها سنة 716هـ/1316م،كسنة لميلاده ، فهل هناك نسخ أخرى غير التي اعتمدنا عليها نقل منها ابن مريم ثم التنبكتي ينظر: ابن مريم ،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، تحقيق ، محمد بن أبي شنب ، منشورات السهل ، الجزائر 2009 ، ص 188،التنبكتي ، المصدر السابق ،ص432

4- عبد الرحمن بن خلدون، رحلة ابن خلدون، عارضها بأصولها وعلق على حواشيها، محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 ص 69

5- نصر الدين بن داود، أسر العلماء بتلمسان ومساهمتها في حضارة بني زيان، النشر الجديد الجامعي، تلمسان، الجزائر، 2015، ص 157

6- ابن خلون، المصدر السابق، ص 69

قرأ الشيخ أبو عبد الله بداية القرآن الكريم على الشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن يعقوب حيث يقول صاحب المناقب "فحفظه في أسرع وقت وجود حفظه وظهرت في المكتب نجابته وبشائر نباهته"[1]وقد تجلى الاستعداد الفطري من أبي عبد الله الشريف للتزود بالمعرفة والتبحر في العلوم، في حرصه على الجلوس مجلس الدرس ، وحضور حلق العلم التي كانت تقام بمساجد ومدارس تلمسان والتي كانت شهدت نهضة علمية كبيرة طيلة القرن 8ه/ 14م،فحضر في مرحلة باكرة من حياته لإحدى مجالس التفسير التي كان يعقدها الفقيه المالكي أبوزيد ابن الإمام ت749ه/1342م، ونال استحسان الشيخ ، بعد أن سأله عن الجنة وإقراء العلم بها[2]، وأخد أبو عبد الله الشريف عن أخيه أبو موسى بن الإمام(ت749ه/1348م)[3] والقاضي أبي عبد الله محمد بن هدية القرشي (ت 735ه/1335)[4]،)، والولي الصالح أبي عبد الله المجاصي (ت741ه/1341)[5]، والقاضي أبي عبد الله محمد بن ابي عمرو التميمي (ت 745ه/1344م)[6]، وأبي عبد الله محمد بن محمد البيروني (كان حيا سنة

[1] – ورقة 08.

[2] – ورقة 08،09.

[3] – أبو موسى ابن الإمام، ترجع أصوله إلى برشك، من أعمال تلمسان، أخذ هو وأخوه أبو زيد عبد الرحمن العلم من تونس ورجعا إلى الجزائر بيثان العلم، ودخلا في خدمة السلطان أبي الحسن، وكان قد بنا لهما أبو حمو موسى الأول مدرسة بتلمسان حملت اسم " مدرسة ابني الإمام " ، ينظر ، أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 245 وما بعدها.

4–أبو عبد الله محمد بن هدية القرشي، عالم خير، من أئمة اللسان والأدب، ذو بصر بالوثائق، مشهور الفضل والدين، له تواليف في فنون شتى، وتولى خطة الكتابة لبعض السلاطين الزيانيين، ينظر يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق، عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ج1،ص154، ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 246

[5] – أبو عبد الله المجاصي، عالم الصلحاء، وصالح العلماء، وجليس التنزيل وحليف البكاء والعويل، كثير البكاء حتى اشتهر به، ذا مواعظ حسنة وتدريس للعلم وعبادة ومكاشفة، ينظر، ابن مريم، المصدر نفسه، ص 143، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص

[6] – أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي، أحد قضاة العدل والورع، من بيت علم ورئاسة، تولى قضاء تلمسان، وله تواليف مفيدة من بينها كتاب " ترتيب كتاب اللخمي على المدونة، ينظر، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 171، ابن مريم، المصدر السابق، ص 305.

799هـ/1397)[1]، وأبي موسى عمران المشدالي (ت745هـ/1344)[2]، والقاضي أبي عبد الله محمد بن عبد النور (ت749هـ/1348م)[3]، و الشيخ أبي عبد الله محمد بن النجار المنجم (ت 749هـ،/1348)[4]، وقد تزامن رجوع الشيخ أبو عبد الله من تونس مع عودة الشيخ ابي عبد الله الآبلي(ت757هـ/1356م)[5]، من بلاد المشرق و قال فيه صاحب المخطوط : "كان من العلماء المحققين والأئمة الراسخين أصوليا متكلما جامعا لكثير من العلوم العقلية والنقلية القديمة والحديثة فلازمه الشيخ الشريف حتى شرب صفوه، وأدرك شأوه، وانتقع به انتفاعا عظيما، وأخذ عنه علما جليلا "[6] وقد كان يقول عنه " قرأ علي خلق كثير في الآفاق ، فما رأيت مثل أربعة ، وأبو عبد الله أكثرهم تحصيلا وأوفرهم عقلا"[7].

إذن فقد كثرت مشيخته وتوسعت مفاهيمه وتنوعت مداركه واستشرفت آفاقه.

***رحلته العلمية:**

---

1 – أبو عبد الله محمد بن محمد اليحصبي البيروني التلمساني، فقيه من فقهاء المذهب المالكي، موصوف بالعلم والإتقان، له شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي، ينظر، ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان وعلماء المذهب، دراسة وتحقيق، مأمون بن محي الدين الجنان، ج2، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996، ص 333، عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ،2011،ص 127

2 – عمران بن موسى المشدالي البجائي الأصل نزيل تلمسان، وصهر ناصر الدين المشدالي، فقيه علامة حافظ محقق، من أعلام المذهب المالكي بالمغرب الأوسط، فر من بجاية أثناء حصارها، ودخل تلمسان بعد أن استدعاه سلطانها، ودرس بها الحديث والأصلين والفرائض والمنطق والجدل، ينظر نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 350،352

3 – محمد بن عبد النور الندرومي، أبو عبد الله قاضي فاس، وقاضي عسكر أبي الحسن المريني، كان مبرزا في الفقه على مذهب مالك، توفي عام الطاعون، أحمد بابا التنبكتي، المصدر نفسه، ص 405.

4 – أبي عبد الله محمد بن النجار المنجم، التلمساني المولد والنشأة ومن أبرز تلامذة الشيخ الآبلي الذي مدحه فقال: ما قرأ علي أحد حتى قلت له: ما بقي عندي ما أقول لك إلا ابن النجار ينظر، نيل الابتهاج 404

5 – الآبلي: محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري، التلمساني الشهير بالآبلي، نسبة إلى منطقة آبلة بالأندلس وهو إمام علامة مجمع على إمامته، أعلم خلق الله بالفنون العقلية، ينظر، بن مريم، البستان، ص 236. أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص 441، سيدي محمد نقادي، إسهامات العلامة الآبلي التلمساني في الحياة الفكرية بحواضر المغرب، ط1، منشورات، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ص، ص 245، 249.

6 – ورقة 12

7 – ورقة 12.

لم يجد الشيخ أبوعبد الله الشريف عن التقاليد العلمية العريقة التي كانت سائدة خلال العهد الإسلامي الزاخر، فعزم على الرحلة إلى حواضر العلم للقاء المشايخ ومباشرة الرجال[1].

ارتحل الشيخ أبوعبد الله الشريف سنة 740 هـ/1339م،إلى مدينة تونس مارا على بجاية التي دخلها، وهي أحد أهم وأكبر الحواضر العلمية ببلاد المغرب ،وأحد معاقل الفقه المالكي به «فوجد بها وفرا عظيما من العلماء فجلس مجالسهم وتكلم فيها في مسألة من كتاب ابن الحاجب[2]، فقال له بعضهم إن ابن الحاجب عندنا اليوم يقرأه الصبيان، فسألهم فيه أسئلة عجزوا عنها، فاشتهر فيها أمره "[3]، لقد كان ما حصل للشيخ أبي عبد الله مع بعض علماء بجاية محل إعجاب و استحسان من طرف أشياخه بني الإمام ، وصار تعجيزه لهم محل تندر عند طلبة العلم بتلمسان يختبرون بها من ادعى معرفة ذلك الكتاب "[4].

بعد بجاية ارتحل الشيخ الشريف إلى تونس، وهناك لزم مجلس الفقيه المالكي ذائع الصيت ابن عبد السلام (ت749هـ /1348م)[5]،)، شارح كتاب ابن الحاجب الفروعي "وكانت الرحلة إليه من الأقطار ..فلزم مجلسه وأخذ عنه وانتقع به انتفاعا عظيما "[6].

---

1 – حول الرحلة العلمية وأهميتها في مجتمعات العصر الوسيط، ينظر: بن خلدون، المقدمة، ط01، دار ابن الجوزي مصر، 2010، ص 393.

2 – الفقيه أبو عمرو بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدوني ، ثم المصري ، الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب، الملقب بجمال الدين ، المقرئ الأصولي المالكي الفقيه النحوي أحد أعلام المالكية بمصر، وصاحب كتاب جامع الأمهات في الفقه المالكي الذي أحدث به نقلة نوعية في المذهب ،ينظر ، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ،المجلد الثالث ،دار صادر ، بيروت ، د ت ، ص 248،الذهبي ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، تحقيق ، طيار آلتي قولاج ، إسطنبول، 1995، ج 3 ص 1287.

3 – ورقة 12.

4 – ورقة12.

5 – محمد بن عبد السلام: أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواري المنستيري، من فقهاء المالكية، ولي القضاء بالدولة الحفصية إلى أن توفي بالطاعون عام 749هـ ، وهو ممن برع في المعقولات ،وقام على حفظ المنقولات ، ينظر ، أبي الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النبهاني ، تاريخ قضاة الأندلس ، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ،تح، صلاح الدين الهواري ، ط1،المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 2006، ص 171، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، 406

6 – ورقة 13.

لقد أبانت المباحث التي أثارها الشيخ أبوعبد الله مع الشيخ ابن عبد السلام حول حقيقة الذكر أهو باللسان أم بالقلب، عن علو كعب وتكوين علمي جيد، وتقدم في الفقه إن كان التلميذ قد توقف عن النقاش حياء من شيخه، فإن ابن عبد السلام سرعان ما تفطن وأدرك قيمة هذا الرجل، وما كان منه إلا أن قربه منه وإليه، واختصه بالقراءة في بيته[1]

وبعد تونس رجع الشيخ أبوعبد الله إلى تلمسان، وقد "امتلأ علما وفاض حكمة وفهما فدّرس العلوم وجدد الرسوم، وأحي الشرائع، وأظهر البدائع"[2] فكانت الرحلة جمة الفائدة وغنية العائدة.

– الشيخ أبو عبد الله الشريف في نظر معاصريه:

احتفظ لنا المخطوط بذكر لأقوال علماء العصر، وثنائهم على الشيخ الشريف، وارتأينا أن نوردها كما هي لأهميتها في توضيح مكانته العلمية بين معاصريه، ومن أقوالهم.

*أبو علي منصور بن هدية القرشي: "كل فقيه قرأ في زماننا هذا، أخذ مما قدر له من العلم ووقف إلا أبو عبد الله الحسني فإن اجتهاده يزيد، والله أعلم أين ينتهي أمره"[3]

*الشيخ أبو يحي المطغري:"حضرت مواعد كثيرة للعلماء الكبار، فما رأيت من يشفي الغليل إلا سيدي أبو عبد اله وبنوه من بعده"[4]

*الشيخ أبوعبد الله الآبلي: «هو أوفر من قرأ علي عقلا و أكثرهم تحصيلا"[5]

*الشيخ ابن مرزوق الخطيب: "لقد كرهت فراق أبي عبد الله [سفر الشريف إلى تونس] ولكنني أحمد الله على رؤية أهل إفريقية من بالمغرب "[6]

---

[1] – ورقة 13

[2] – ورقة 14.

[3] – ورقة 19.

[4] – ورقة 20.

[5] – ورقة 17.

[6] – ورقة 19.

*قال عنه الشيخ ابن عرفة عند وداعه:" يعز على أن أفارقك، ولا عرفت غايتك في العلم" ولما ذكر له موته قال " رحمه الله لقد ماتت بموته العلوم العقلية "[1]

*قال عنه الشيخ ابن عبد السلام: "ماكنت أظن أن في المغرب مثل هذا"[2].

هذا الاجماع يدل بما لا يدع مجالا للشك والريب على علو مكانة الشيخ أبي عبد الله الشريف، وسمو علمه، ورسوخ فهمه.

– جهود الشيخ ابو عبد الله الشريف في التدريس:

***في تعامله مع طلبته:**

كان الشيخ أبو عبد الله من اولئك الذين شغلهم الشاغل بناء الرجال وبث العلم في الصدور، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فركز جهده على التدريس والتعليم، وانتقع به جمع غفير.

وقد انعكس هذا الاهتمام من الشيخ بطلبته على وضعهم الاجتماعي ومكانتهم في المجتمع، فقد قال عنه صاحب المناقب: «كان الطلبة في أيامه أعز الناس واكثرهم عددا، وأوسعهم رزقا وأكثرهم انتفاعا، حتى كثر العلم في عصره وانتشر وطلبه الناس وأقبلوا عليه، واستعانوا بحسن إلقائه إليهم، وحلاوة فيضه عليهم، وسهولة سوقه لهم إلى سعادتهم"[3]

فضلا عن ذلك ساهمت شخصية الشيخ أبي عبد الله القوية ، وحسن إلقائه لدروسه وسلامة لغته ، في تحبيب العلم لطلبته وحرصهم على التلقي يقدم لنا المخطوط معلومات مفصّلة حول هذا الجانب من شخصية الشيخ أبوعبد الله وتعامله مع طلبته ،ونرى من المفيد أن نثبته في المتن لأهميته وما أحوجنا في هذا الوقت لأمثاله حيث يقول: "كان رحمه الله من أحلى الناس عبارة ، و أعلاهم إشارة، يرقى الطالب عن مقامه في كل مقام ويذيقه لذة العلم في أسرع وقت ويربو به في التربية ويحلم به عند الهفوة ، ويتلقاه بالبشاشة والشفقة والرحمة، لا يؤثر على طلبة العلم غيرهم، ولا يقرب أحدا دونهم، ويغرس في قلوبهم الحكمة، ويمنحهم الموعظة الحسنة،...ينزلهم

[1] – ورقة 17.
[2] – ورقة 17.
[3] – ورقة 16.

منازلهم ويرتبهم في (**كذا**)،ويعطي كل أحد في مقامه ويجاريه في ميدانه ،ويأخذ معه على قدره، ويقبل منه ما يتكلم به ،ويحمله على أحسن الوجوه، وربما قرره وبسطه وأبرزه في أحسن صورة من عبارته تنشيطا للطالب، ورفقا به وعونا له على مطلبه"[1].

فكان حريصا على كسب الطالب وتوجيهه نحو رغبته وميوله، والمرافقة الدائمة له، فنجح في المهمة التربوي والبيداغوجي بامتياز، وهذه هي التقنيات الحديثة في الأداء التعليمي والتربوي.

***في منهجه وطريقة تدريسه:**

اختص الشيخ أبو عبد الله الشريف بمنهج معين في التدريس ، صارما في تلقين المعارف محققا لها يقول صاحب المناقب:" لا يفرع من مسألة حتى يرفع عنها اللبس ، ويوضحها مثل الشمس، ويأخذ كل أحد من الحاضرين منها على قدره، ويشفي فيها غليل صدره"[2] ويبدو أن الشيخ أبو عبد الله قد أدرك أن الطلبة هم محور العملية التعليمية والأستاذ يجب أن يكون منسقا مصححا لأبحاثهم أو ما يعرف في العصر الحديث بالمقاربة بالكفاءات فقد كان كما يقول حفيده: " يرى أن الطلبة إنما ينتفعون بالبحث والمناظرة والمنافسة ، فإذا طال البحث بينهم في مسألة أمرهم بالتقييد فيها، ثم يفصل بينهم ويعطي ذا حق حقه"[3].

وبهذا نجح في تفجير الطاقات وفتح الآفاق لبروز العبقريات.

– المواد المدّرسة:

يقدم لنا المخطوط معلومات هامة عن أهم العلوم التي درّسها الشيخ أبو عبد الله والتي كانت له مشاركة فيها، لقد سمحت المشيخة العلمية الكبيرة التي أخذ عنها والمتعددة الاختصاصات في تمكننه وتحصيله لمختلف المعارف، نقلية وعقلية.

ففي **علوم القرآن**، كان الشيخ أبو عبد الله من المعتنين بكتاب الله المفسرين لمعانيه، فقد فسر القرآن الكريم في خمس وعشرين سنة وفي هذا يقول صاحب المناقب: "فأتى فيه بالعجب العجاب

---

1 – ورقة 16.
2 – ورقة 54.
3 – ورقة 55.

وكان مجلسه عظيما هائلا يحضره أكابر الملوك والعلماء والصلحاء وصدور الطلبة النبهاء"[1] ثم يضيف ويقول: «فكان رحمه الله عالما بحروفه ولغته ونحوه وقراته واختلاف رواياته، وبيانه وإعجازه وبراعته وإيجازه، وأحكامه ومعانيه وأمره ونواهيه، وناسخه ومنسوخه، ونزوله وتاريخه ، وخاصه ومجمله وظاهره ومؤوله ومنطوقه ومفهومه وكثير من أنواع علومه ، صدفه ولبه قشره وقلبه"[2]، "يفسر نحو ربع حزب كل يوم بحسب المواطن"[3] أما **الحديث النبوي الشريف** يقول صاحب المخطوط:" فكان أحد أئمته عارفا "بفقهه وغريبه ومشكله ومختلفة، وصحيحه وعلله، وحفظ رجاله ومتونه، وجميع أنواع علومه"[4]، وفي أصول الدين:"كان رحمه الله عالما **بأصول الدين** إماما من أئمة السنة قائما بالحجة، بصير بالبرهان وعلومه، صحيح النظر كثير الذب على أهل السنة والنصرة لأهل الحق، عالما بمذاهب الفرق، وحجة الخصوم، قويا على حل الشبهة وإبطالها، وإزاحة إشكالها"[5].

وأما في **علم أصول الفقه**، فقد كان من العلماء المتبحرين فيه[6]، أصوليا محققا كثيرا ما يستند إلى القواعد الأصولية لشرح الأحاديث وتقريرها أو تفسير الآيات وبيانها، كما ألف فيه مصنفات سيأتي الحديث عنها في محلها.

كان الشيخ أبو عبد الله الشريف من أعلام **الفقه المالكي** بتلمسان خلال القرن الثامن وأحد من يشار له بالاجتهاد فقد كان كما يقول صاحب المناقب: "قائم على الفروع والأصول كثير التثبت والتحصيل ، عالما بالأحكام واستنباطها ، قوي الترجيح والتخريج ، سديد النظر، متورعا في الفتوى متحريا، يعتمد عليه أهل الدين والورع فيها، وترد عليه من الآفاق"[7]، مطلع على الخلاف بين المذاهب فقيها مقارنا يبين في أجوبته وفتاويه آراء

---

1 – ورقة 20.
2 – ورقة 21.
3 – ورقة 54.
4 – ورقة 21.
5 – ورقة 39.
6 – ورقة 51.
7 – ورقة 50.

المذاهب السنية الأخرى ويرجح من الأقوال ما وافق الكتاب والسنة منها ، وهذا يدل على أن الامام الشريف كان مالكيا غير متعصب لمذهبه، منفتحا على المذاهب الأخرى فهو مجتهدا في حدود المذهب. ومن الكتب المعتمدة في التدريس: "ولم يزل يقرأ كتاب المدونة بعد التفسير حتى لقي الله فانتفع من الطلبة بقراءته ما لم ينتفع بمثله أحد في مصر من الأمصار في زمانه"[1]، أما علوم **اللغة العربية** فقد نالت حظا وافرا من اهتمام الشيخ وحازها وتمكن منها، يقول حفيده: "جامعا لعلومها محيطا لغزير الأدب عربيا نحويا ، كان في البيان أية من آيات الله محصلا لبدائعه"[2]، والملاحظ أن الشيخ أبا عبد الله كان من المشاركين في **علوم التاريخ و أخبار الأمم** فقد كان: "عارفا بأخبار الملوك وتنقل الدول وأيام العر وسيرها وحروبها ومقاتل فرسانها، ذاكرا لأخبار الصالحين وسيرهم ،و أخبار الصوفية ومذاهبهم وإشاراتهم "[3]، وبالإضافة إلى مختلف العلوم النقلية التي برز فيها الشيخ أبو عبد الله الشريف برز برز كذلك في **العلوم العقلية** ، فارسا للمنقول والمعقول ،فكان: "عالما بالمنطق والحساب والفرائض والهندسة والهيئة ومعرفة آلات التنجيم والمساحة وعلم الموسيقى وعلم الطب والتشريح والفلاحة وكثير من العلوم القديمة والحديثة"[4] والحديثة"[4] فهو عالما موسوعيا، ملما لمختلف العلوم والفنون.

4 –مكانة أبو عبد الله الشريف في المجالس العلمية السلطانية:

*** في تعامله ونظرته للملوك والسلاطين (موقف أبو عبد الله الشريف من السلطة السياسية):**

مشيا على خطى السلف الصالح من الفقهاء المالكية الذين أرسوا تقاليد مميزة في التعامل مع السلطة السياسية أيا كانت مرجعيتها أو منهجها ، كان الشيخ أبو عبد الله الشريف من أولئك الذين يتنزهون عن مجالسة السلطان في غير مواضع العلم على الرغم مما حظي به من مكانة رفيعة عند كل من الزيانيين والمرينيين على حد سواء ،ومع ذلك كان :" يتباعد منهم مع شدة إقبالهم عليه وحرصهم على تقريبه، ولم يتولى لهم أمرا من أمور الدنيا، بل واقف مع العلم حيث وقف "[5]، وقد عزز هذا الموقف ما شهدته بلاد المغرب في منتصف القرن الثامن هجري من

[1] – ورقة 50.
[2] – ورقة 51.
[3] – ورقة 51.
[4] – ورقة 52.
[5] – ورقة 73.

اضطرابات سياسية وتناحر عسكري دموي ، وصراعات على العروش، فضلا عن ذلك كان الشيخ أبو عبد الله حريصا على توقير العلماء وعدم النيل منهم والانتقاص من قدرهم ، خاصة في الأماكن العامة أو أمام الحكام ثم يواصل حفيده الكلام فيقول: "وكان رحمه الله إذا جالس العلماء في مجالس الملوك، لا يجادلهم ولا يماريهم، ولا يطلب غلبهم والظهور عليهم، بل يعطي منصب العلم حقه ويقدره قدره وينزل الحق منزلته، ولا يبادر إلى أحد بالرد، ولا يخطئ المفسرين و الشراح، ولا يسمع العامة ما ينفرهم "[1].

وهذه السمة جعلته أكثر مهابة ووقارا عند العلماء والسلاطين على حد سواء.

***إسهاماته العلمية في المجالس السلطانية:**

أ -مجلس أبي حمو موسى الثاني الزياني[2]:

احتفظ لنا المخطوط بجلسة علمية للشيخ أبي عبد الله الشريف في مجلس السلطان أبي حمو موسى الثاني حيث سأله عن قوله صلى الله عليه وسلم: "حبب إلي من دنياكم ثلاث، النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة"[3]، هل الصلاة من الدنيا أم لا، أبان رحمه الله في الشرح المطوّل عن تمكن من ناصية الحديث وعلومه

---

[1] - ورقة 54.

[2]- أبو حمو موسى الثاني : هو أبو حمو موسى بن أبي يعقوب بن يحي بن يغمراسن ، ولد بغرناطة سنة 723هـ/1323م ، عندما كان أبوه مبعدا إليها ، وكان ملكا عالما فاضلا ، استرد ملك آبائه ، له كتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك ، ينظر ، يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تق وتح وتع عبد الحميد حاجيات ، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011،ص15، مجهول ، زهر البستان ، زهر تلمسان في دولة بني زيان ، عناية وتحقيق ، محمد بن أحمد باغلي ، ط2 ،شركة الأصالة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2012،ص 03 وما بعدها ، عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني ، حياته وآثاره .ط2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1982،.69 و ما بعدها.

[3]- عن أَنَس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " حبب إلي النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة" ، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند حيدر آباد الطبعة : الأولى 1344 هـ رقم 1383، ، الامام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، السنن الكبرى، تحقيق ، عبد الغفار سليمان البنداري، سيدكسروي حسن ، دار الكتب العلمية بيروت—لبنان ، رقم (8887)

والفقه وأصوله، فكان أصوليا محققا ولم يكتفي بتبيان القراءات المحتملة لهذا الحديث، بل إنه كذلك اعترض على رواة الحديث وفهمهم وتوجيههم للنص وفق ذلك الفهم[1].

ب –مجلس السلطان أبي عنان المريني[2]:

يبدو أن التحاق الشيخ أبي عبد الله الشريف بالمجلس العلمي السلطاني المريني كان بالصدفة ،فقد كان نتيجة وشاية واتهامات ساقها بعض الفقهاء الفاسيين إلى السلطان ابي عنان متهمين فيها الشيخ الشريف بالقصور في الفقه وعدم التحرير والتدقيق فيه ، فبعث إليه وحشر إليه فقهاء الفاسيين فلما "فلما حضروا أمره بقراءة قوله صلى الله عليه وسلم :"إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم"[3]، الحديث ،يختبر بذلك قوته في الفقه، فأخذ في القراءة من غير نظر ولا توطين ، فكان من أولى ما (**كذا**) في [هذا][4]، الحديث خمسة وعشرون فرعا ، الأول كذا والثاني كذا وأقبل على [سردها][5]، ثم على (**كذا**)من الحديث، ثم على ترجيح ما رجح منها كأنه يملي من كتاب ، فلما [رأى][6]، ، السلطان منه ذلك ، أقبل على الطاعنين فيه وقال لهم [هذا][7]، الذي تشيرون إلى قصوره في الفقه وأوسعهم

---

[1] – ورقة 24،21.

[2] – أبو عنان : هو أبو عنان المتوكل على الله من أم رومية تدعى شمس الضحى، ولد سنة 729هـ، وتولى الحكم عقب انقلابه على أبيه الحسن كما بينا سابقا، وقد كان "أبيض تعلوه صفرة قوية، طويل القامة، يشرف الناس بطوله نحيف البدن، عالي الأنف حسنه، جهوري الصوت في كلامه عدلة وتوقف، حيث لا يكاد يفهم ما يقول ... فارس شجاع، عالما مطلقا يناظر العلماء ويخطئهم في كثير من الأحيان، حافظ للقرآن، مات وعمره 29 سنة وهو أول من تلقب بلقب الخلافة من بني مرين، (المصادر)وابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، 2000، ص44.

[3] – عن أبي هريرة أن نبي الله قال: «إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات السابعة بالتراب». سنن أبي داود / أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني، الكتاب العربي، بيروت رقم 73، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر–بيروت، رقم 363 =قال الألباني صحيح، عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرار». أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، ، دار الجيل بيروت دار الأفاق الجديدة بيروت، رقم 674

[4] – في الأصل (هاذا).

[5] – في الأصل (صردها).

[6] – في الأصل (رءا).

[7] – في الأصل (هاذا).

توبيخا"[1]، وتعززت شهادة السلطان أبي عنان بشهادة العالم المطغري[2] في جلسة علمية أخرى عندما رفض أن يقرأ التفسير في حضور الشيخ الشريف ورأى بأنه أحق بذلك منه ، قائلا :" إن أبا عبد الله أعلم بذلك مني فلا يسعني أن أقرأ بحضرته «وفسر أبو عبد الله [في حضرة][3]،كافة علماء المغرب، وكان المجلس في دار السلطان فنزل عن سرير ملكه وجلس معهم على الحصير ، فتفجر أبو عبد الله من ينبوع من ينابيع الحكمة أدهش به الحاضرين وآتاهم بمال م يحيطوا بعلمه، حتى قال السلطان عند فراغه :إني [لأرى][4]، العلم يخرج من منابت شعره "[5]، والمؤكد والمؤكد أن الشيخ ترك انطباعا حسنا عند جميع من حضر ،حتى أن الفقيه القاضي أبو عبد الله الفشتالي "حرص على تقييد ما صدر منه ذلك اليوم"[6].

كل هذا يؤكد المنزلة الرفيعة التي حظي بها العلم الشريف عن جدارة واستحقاق، واغتراف من العلماء والسلاطين.

5 –إسهامات الشيخ أبو عبد الله الشريف في حركة التأليف:

بالإضافة إلى الجهود التي بذلها الشيخ أبوعبد الله في بث العلم وتعليم الناس أمور دينهم، كانت له مشاركة في حركة التأليف في بعض فروع المعرفة، إلا أن الملاحظ على الشيخ أنه وكالعديد من علماء المغرب الأوسط كان قليل التأليف وركز جهده على التعليم، وقد نبّه حفيده لذلك وكتب مستدركا:" كان رحمه الله قليل الأخذ في التأليف وإنما كان اعتناؤه ببث العلم في الصدور، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فكان له من التلاميذ العد الكبير، وانتفع به من الخلق كثير"[7]، ومن بين المصنفات المصنفات التي ألفها:

---

[1] – ورقة 51.

[2] – عبد الله بن عمر المطغري من فقهاء وعلماء درعة بالمغرب الأقصى – ابن القاضي: درة الحجال في معرفة الرجال ط01، مكتبة دار التراث، مصر، 1971. ص،317.

[3] – في الأصل (فحضرة).

[4] – في الأصل (لأرا)

[5] – ورقة 19.

[6] – ورقة 19.

[7] – ورقة 52.

أ –كتاب **مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول**[1]: يعد هذا الكتاب أيقونة الكتابات الأصولية بالمغرب الأوسط ، الكتاب على صغر حجمه يتميز بمنهج وأسلوب فريد قال عنه حفيده أنه :" طبق فيه [المسائل][2] الفقهية مع الأصول[3]، وقد نهج الشريف التلمساني فيه " منهج الفقهاء في الغالب، و إلا فهو جمع بين الطريقتين : طريقة الفقهاء والمتكلمين ، مع دمج لطريقة تخريج الفروع على الأصول"[4]، إذ بين علاقة الأصول بالفروع وركز فيه على المسائل الأصولية التي وقع فيها الخلاف بين الأصوليين وانعكاساتها على الفروع[5]، وقد اجتهد المحقق في حصر مصادر الشريف في كتابه والتي أوصلها لسبع وأربعين مصدرا ما بين كتب التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة وغيرها ،ومن بينها تسع مصادر أساسية في علم أصول الفقه[6]، وقد أصبح هذا الكتاب من بين أهم كتب الدرس الأصولي ببلاد المغرب الإسلامي ، واستمر تأثيره حتى عصور متأخرة .

ب –مثارات الغلط في الأدلة[7]، يصنف هذا الكتاب ضمن موضوعات المنطق، فهو رسالة في الجدل[8]، وقد قسمه إلى بابين: الباب الأول : اللغط اللفظي سواء في اللفظ المفرد أو اللفظ المركب وللفظ المتردد بين الإفراد والتركيب

1– الإمام الشريف أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسني التلمساني، مفتاح الأصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه مثارات الغلط في الأدلة، دراسة وتحقيق، الشيخ محمد علي فركوس ، الطبعة الأولى ،المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1998، وقد نشر كتاب مثارات الغلط في الأدلة منفصلا بعناية جلال علي عامر الجهاني دون أن تحمل النشرية بيانات النشر.

2– في الأصل (المسايل)

3 – ورقة51.

4 – ضيف الله بن هادي بن علي الزيداني الشهري، أصول الفقه في القرن الثامن الهجري دراسة تاريخية تحليلية، دكتوراه في أصول الفقه، إشراف عبد الكريم بن علي النملة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ،1426هـ، ص 848و حول طريقة تخريج الفروع على الأصول ينظر نفسه، ص 919

5 – نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص 274

6 – الشريف التلمساني، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص، ص 241، 245

7– ورقة 52، ونشر ملحقا مع كتاب مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول

8 – نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص 275

الباب الثاني: تناول فيه الغلط المعنوي سواء من جهة المعنى في التأليف الجزئي أو في التأليف القياسي[1]، وهذا الكتاب رسالة في صناعة الجدل ذات غاية تعليمية، وقد تميز في تأليفه بالتسلسل المنهجي في الانتقال بين المواضيع ويرتب الأفكار بعيد عن التعقيد والاستطراد ليصل إلى استنتاجات علمية وبهذا كان له السبق في هذا التصنيف"[2].

التصنيف"[2].

ت –كتاب في القضاء والقدر، قال عنه المؤلف": أجاد إيراده وإصداره، وقدر الحق مقداره،وإقتدر على التعبير عن تلك العلوم الغامضة ، والمعاني الرقيقة بالكلام الجزاء الفصيح والألفاظ الرشيقة "[3]، وهو من الكتب المفقودة

ث –شرح مختصر نهاية الأمل للخونجي ،"وهو من اجل كتب [هذا][4]، الشأن اعتنى به اعتناء عظيما وانتفع به العلماء وأكب الطلبة في الآفاق على قراءته ونسخه والانتفاع به، وانتشر وعول عليه ورجع إليه"[5]، وقد أوضح الغاية من تأليفه فقال:" ولما لم تكن الأمانة للفكر في حماقته مست الحاجة إلى قانون يعصم جنانه من مقولاته، كما يعصم النحو اللسان من مقولاته ولما كان مختصر الإمام الأوحد العالم الفذ أفضل الدين الخونجي رضي الله عنه ، قد بلغ في الغاية إلى حيث لا يعد لعنه. فشرحت هذا المختصر شرحا يستوعب معاني وإيضاح مشكلاته وتحقيق مبانيه "[6].

إذن على سعة علمه ورسوخ فهمه فهو قد وجه كل جهوده للتعليم، أما التأليف فهو لم يوليه أهمية كبيرة، وكأنه اعتنى بأليف الرجال قبل تأليف الكتب.

---

[1] – الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص 763، ص 775، نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص 275

[2] – نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص 276

[3] – ورقة 39.

[4] – في الأصل (هاذا)

[5] – الورقة 52.

[6] – بابا حويا الحاج مهدي، الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ) وجهوده الأصولية والفقهية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس ،1413هـ-1414هـ/1992م-1993م.

ج **–تأليف في المعاوضات** مفقود[1] ولا تقدم المصادر معلومات حول موضوعه ومحتوياته.

6 –الإشعاع الفكري لأبي عبد الله الشريف في حواضر المغرب الإسلامي:

لم تقتصر الجهود العلمية للشيخ أبي عبد الله الشريف على حاضرة تلمسان فحسب، بل امتد إشعاعه العلمي إلى باقي حواضر الغرب الإسلامي، وفي نفس الوقت لم تفوت النخب المغربية في مختلف الحواضر وجود عالم نحرير من أمثاله للنهل منه والاستفادة من معارفه، لقد أبانت الأجوبة على الرسائل والأسئلة التي كانت تفد عليه عن مقدرة على التصدي لمختلف المسائل التي كانت تشغل بال الأوساط العلمية في الغرب الإسلامي خلال القرن الثامن هجري.

في هذا السياق يمكن الإشارة إلى الأسئلة التي وفدت عليه من الأندلس ، بعث بها الشيخ أبو سعيد بن لب (ت 782هـ/1380م)[2]، الذي كان كما يقول صاحب المناقب:" كلما اشكلت عليه مسألة كاتبه بها ،وطلب منه بيان ما أشكل عليه معترفا له بالفضل"[3]، تمحورت تلك الأسئلة حول بعض المسائل الفقهية كمسألة تعدد الأقوال في مذهب مالك ،وإفراد كل يمين بكفارتها[4]، ومسألة تعدد الأقوال مع عدم معرفة المتقدم من المتأخر منها[5]، لقد كان علماء الأندلس يقدرونه حق قدره كما يقول صاحب المخطوط: "من أعرف الناس بقدره، وأكثرهم تعظيما

[1]– نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص 275

[2] – إمام غرناطة وعالمها ومفتيها، حافظ عليه مدار التحصيل في الفتوى، عارف بالعربية واللغة مبرزا في التفسير قائما على القراءات مشاركا في الأصلين، من أكابر علماء المذهب المالكي بالحضرة الغرناطية، ينظر نيل الابتهاج، ص 357، ابن فرحون ،المصدر السابق ، ص 316

[3] – الورقة 55

[4]– ورقة 62

[5]– ورقة70.

له"[1]، ولا أدل على ذلك ما درج عليه لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1375م)[2]، من إرسال جديد مؤلفاته إلى الشيخ الشريف من أجل أن يكتب تقديما عليها ويبدي ملاحظاته ورأيه فيها[3].

ومن إفريقية وفدت عليه الأسئلة من العالم الأصولي أبو زكرياء يحي الرهوني[4] مستفسرا حول بعض القضايا الفلسفية والمتعلقة بالمنطق وعلم الكلام ، كمسألة قدم العالم[5]، أو مسألة العلم بوجود الله تعالى[6]، وبعض القضايا القضايا المتعلقة بمباحث كتاب "جامع الأمهات " لابن الحاجب"[7]، إلا أهم ما يتوفر عليه المخطوط في هذا الجانب هو المساهمة الذي قدمها الشيخ أبوعبد الله في النقاش الدائر آنذاك حول مسألة الشرف وهل يثبت من جهة الأم أم لا[8]، إلا أن البتر أتى على الجزء الهام الذي يتوفر على ما يبدو على ما رجحه الشيخ أبو عبد الله في هذه القضية التي شغلت الأوساط العلمية ببلاد المغرب آنذاك.

7-الإضافة المصدرية التي يقدمها في حقل الدراسات المتعلقة بالمغرب الإسلامي:

على الرغم من الطابع المناقبي للمخطوط: "مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحي عبد الرحمن "حيث تطغى عبارات المدح والتبجيل إلا أنه يعد من أهم المصادر المكتشفة مؤخرا التي تحوي معلومات تاريخية هامة جدا حول أحد أعلام مدينة تلمسان خلال القرن الثامن وهو الشيخ أبو عبد الله الشريف، بالنظر إلى ما توفر في ثناياه من معلومات تاريخية هامة حول

[1]- ورقة55.

[2]- حوله ينظر الترجمة الواسعة التي خصصها له المقري في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان، 2012

[3]- ورقة 55، نصر الدين بن داود ، أسر العلماء ، ص 276

[4]- الرهوني: هو يحيى بن موسى الرهوني من علماء افريقية، فقيه مالكي حافظا واماما في أصول الفقه والمنطق وعلم الكلام رحل إلى القاهرة وتوفي سنة 773هأو 775هـ، من مصنفاته: مختصر وشرح ابن الحاجب الأصلي، تقييد على التهذيب يذكر فيه المذاهب الأربعة ويرجح المذهب المالكي، وله كتاب تحفة المسؤول في مختصر منتهى السول. ابن القاضي أبو العباس المكناسي : درة الحجال في غرة أسماء الرجال، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1423هـ/2002م، ص:447 رقم:1451.

[5]- ورقة44.

[6]- ورقة 45.

[7]- ورقة47.

[8]- ورقة 58.

الإسهامات العلمية لأفراد بيت الشريف في الحركة العلمية بتلمسان والمغرب الأوسط خاصة ، وبشكل عام بلاد المغرب الإسلامي، وقد تبين لنا بعد البحث أنه كان المصدر الأساسي للمصادر الأخرى التي اهتمت بالترجمة للشيخ أبي عبد الله الشريف، فقد نقل عنه كل من التنبكتي في «نيل الابتهاج بتطريز الديباج" الذي لخصه في جزء صغير وسماه "القول المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف «وكذا ابن مريم التلمساني في "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان «وقدم لنا معلومات هامة حول الاهتمامات العلمية للشيخ أبي عبد الله الشريف وإسهاماته في الحركة العلمية بالغرب الإسلامي ، حيث عدّ مرجعا من المراجع الكبار التي يرجع إليها في مختلف العلوم النقلية والعقلية، ينهض دليلا على ذلك إسهاماته الكبيرة في الحركة التعليمية حيث خرّج أعداد كبيرة من طلبة العلم بتلمسان، فضلا عن تصديه لمختلف النوازل والإشكالات التي كانت تشغل بال الأوساط العلمية ويفزع إليه فيها، وقد ضمن لنا المنشور معلومات قيمة في هذا المجال، نكاد نعدم وجودها في باقي المصادر، مثل مسألة ثبوت الشرف من قبل الأم، وتضمن المخطوط كذلك أجوبة مفصلة من الشيخ أبي عبد الله الشريف في بعض المسائل الفقهية ضمن المذهب المالكي، كتعدد الأقوال في مذهب مالك وعدم معرفة المتقدم من المتأخر منها وغير ذلك من القضايا العلمية، فضلا عن إسهاماته في حركة التأليف في مختلف العلوم النقلية والعقلية وخاصة في ميدان الفقه وأصوله ،حيث عدّ كتابه مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول، أحد أهم المصنفات المقررة في الدرس الأصولي ببلاد المغرب ، واستمر تأثيره حتى عصور متأخرة .

خاتمة: يتبين من خلال هذا المسح القيمة التاريخية والعلمية الكبيرة لمخطوط "مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحي عبد الرحمن" المنسوب لأحمد ولد سيدي يحي بن أبي عبد الله الشريف، في الدراسات التاريخية المتعلقة بالمغرب الأوسط وحاضرته تلمسان بشكل خاص وبلاد المغرب الإسلامي عامة، وقد تتبعت هذه الدراسة من خلاله الأدوار الذي قام به الشيخ أبي عبد الله الشريف في الحياة العلمية بتلمسان وسائر حواضر المغرب الإسلامي ، حيث عد مرجعا من المراجع الكبار وقامة علمية التي يرجع إليها في مختلف العلوم النقلية والعقلية، وقد نال بذلك

التقدير من مختلف الأوساط العلمية بالغرب الإسلامي، واحترام مختلف السلط السياسية القائمة آنذاك ، حيث حرص كل من الزيانيين والمرينيين على استقدامه لمجالسهم العلمية ،لينهلوا من علومه ومعارفه، فضلا عن إسهاماته في حركة التأليف في مختلف العلوم النقلية والعقلية ، وخاصة في ميدان الفقه وأصوله ،حيث عدّ كتابه مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول، أحد أهم المصنفات المقررة في الدرس الأصولي ببلاد المغرب ، واستمر تأثيره حتى العصر الحديث والمعاصر.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

– المخطوطة:

01– أحمد ولد سيدي أبي يحي بن أبي عبد الله الشريف ، مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحي عبد الرحمن نسخة مصورة من مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية .

– المطبوعة:

02– ابن القاضي ابو العباس: درة الحجال في معرفة الرجال، ط01، مكتبة دار التراث، مصر، 1971.

03– ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، ط01، دار ابن الجوزي مصر، 2010.

04– ابن خلدون عبد الرحمن: رحلة ابن خلدون، عارضها بأصولها وعلق على حواشيها، محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

05– ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق وتح وتع عبد الحميد حاجيات، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011

06– ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، د ت.

07– ابن فرحون إبراهيم بن علي: الديباج المذهب في معرفة أعيان وعلماء المذهب، دراسة وتحقيق، مأمون بن محي الدين الجنان، ج2، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1996.

08- ابن مريم أبو عبد الله محمد الشريف: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق، محمد بن أبي شنب، منشورات السهل، الجزائر 2009

09- البيهقي أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند حيدر آباد الطبعة: الأولى 1344 هـ

10- التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج، تحقيق علي عمر، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، مصر،2004.

11- الذهبي محمد أبو عبد الله شمس الدين: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق، طيار آلتي قولاج، إسطنبول، 1995، ج 3 ص 1287.

12- السجستاني أبوداود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، الكتاب العربي، بيروت

13- السخاوي محمد بن عبد الرحمان شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج2، دار الجيل، بيروت، لبنان، دت .

14- الشريف الحسني التلمساني الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد: مفتاح الأصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه مثارات الغلط في الأدلة دراسة وتحقيق، الشيخ محمد علي فركوس، الطبعة الأولى، المكتبة المكية، مكة المكرمة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1998.

15- القزويني محمد بن يزيد أبو عبد الله: سنن ابن ماجه، دار الفكر–بيروت تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي.

16- القشيري النيسابوري أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل بيروت دار الأفاق الجديدة بيروت،

17- المقري أحمد أبو العباس: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت، لبنان، 2012

18- مؤلف مجهول: زهر البستان، زهر تلمسان في دولة بني زيان، عناية وتحقيق، محمد بن أحمد بأغلى، ط2، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر 2012.

19- النبهاني أبي الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي: تاريخ قضاة الأندلس، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تق، صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006، ص 171،

20- النسائي الامام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب: السنن الكبرى، تحقيق، عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية بيروت—لبنان

21- الونشريسي أحمد بن يحي: الوفيات ، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، د ت.

ثانيا: المراجع:

22- بن داود نصر الدين: أسر العلماء بتلمسان ومساهمتها في حضارة بني زيان، النشر الجديد الجامعي، تلمسان، الجزائر، 2015،

23- بن داود نصر الدين: الحياة الفكرية والتعليمية بتلمسان من خلال علماء بني مرزوق من القرن 7هـ / 13م -16م، ط1، كنوز للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

24- الحاج مهدي بابا خويا، الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ) وجهوده الأصولية والفقهية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس 1413هـ-1414هـ/1992م-1993م.

25- حاجيات عبد الحميد: أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره. ط2، ش و ن ت، الجزائر، 1982.

26- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000.

27- ضيف الله بن هادي بن علي الزيداني الشهري: أصول الفقه في القرن الثامن الهجري دراسة تاريخية تحليلية، دكتوراه في أصول الفقه، إشراف عبد الكريم بن علي النملة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ،1426هـ.

28- مخلوف محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرجّ حواشيه وعلق عليه، عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

29- نقادي سيدي محمد: إسهامات العلامة الآبلي التلمساني في الحياة الفكرية بحواضر المغرب، ط1، منشورات، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،2011.